تعامل النبي ﷺ مع أقاربه

كان النبيُّ ﷺ أرعى الخلقِ لقريبٍ، وأحناهم على رحمٍ، وأكثرهم إحساناً إلى أهلٍ، شهد المخالطون له ﷺ بذلك، فوصفه واصفهم بأنه ﷺ كان: «أبرّ النّاسِ، وأوصل النّاسِ»[(١)].

وكان له من الأعمام:

أسد الله وأسد رسوله سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب، والعباس، وأبو طالب واسمه عبد مناف، وأبو لهب واسمه عبد العزى، والزبير، وعبد الكعبة، والمقوم، وضرار، وقثم، والمغيرة ولقبه حجل، والغيداق واسمه مصعب، وقيل: نوفل، والحارث، وجعل بعضهم الحارث والمقوم واحدا[(٢)].

وأسنُّ أعمامِهِ الحارثُ، وأصغرهمْ سنّاً: العبّاسُ.

ولم يدرك الإسلام من أعمامه إلا أربعة: أبو طالب، وأبو لهب، وحمزة، والعباس، وأسلم منهم اثنان فقط: حمزة والعباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا[(٣)].

وأمّا عمّاتهُ ﷺ، فستةٌ:

صفيّةُ أمّ الزّبيرِ بنِ العوّام، وعاتكةُ، وبرّةُ، وأروى، وأميمةُ، وأمّ حكيمِ البيضاءِ.

أسلمَ منهنّ صفيّةُ، واختلفَ في إسلامِ عاتكةَ، وأروى[(٤)].

---

(١) رواه مسلم [١٠٧٢] عن عبد المطلب بن ربيعة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) زاد المعاد [١ / ١٠٤].

(٣) قال الحافظ رحمه الله: «من عجائب الاتفاق: أن الذين أدركهم الإسلام من أعمام النبي ﷺ أربعة، لم يسلم منهم اثنان، وأسلم اثنان، وكان اسم من لم يسلم ينافي أسماء المسلمين، وهما: أبو طالب، واسمه عبد مناف، وأبو لهب، واسمه عبد العزى، بخلاف من أسلم، وهما: الحمزة، والعباس» فتح الباري [٧/ ١٩٦].

(٤) زاد المعاد [١/ ١٠٥].

وأما أبناءُ عمّه:

فبلغوا خمسةً وعشرين، كلهم أسلموا إلا اثنان (طالب بن أبي طالب، وعتيبة بن أبي لهب)، ومن أشهرُ أبناءِ عمّه: علي بن أبي طالب، وجعفر بن أبي طالب، وعقيل بن أبي طالب، وعبد الله بن عباس، والفضل بن العباس، وعبيد الله بن عباس، وقثم بن العباس، وأبو سفيان بن الحارث، وربيعة بن الحارث.

ومن بنات عمه:

أمُّ هانئ بنتُ أبي طالب، وضباعة بنت الزبير، ودرّة بنت أبي لهب، وأمامة بنت حمزة.

وله من أولاد العمّاتِ:

أحدَ عشرَ رجلاً، وثلاثُ بنات، منهم: عامرُ بنُ بيضاء، وعبدُ الله وزهيرٌ ابنا عاتكة، وعبدُ الله بن جحش، وعبيدُ الله بن جحش، والزبيرُ بن العوام، وزينبُ بنت جحش، وحمنةُ بنت جحش. وكلهم أسلموا، وثبتوا على الإسلامِ إلا عبيد الله بن جحش.

وكان للنبي ﷺ إخوةٌ من الرضاعة:

حمزة بن عبد المطلب، وأبو سلمة بن عبد الأسد، وأبو سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب، ابن عم رسول الله ﷺ، وعبدالله بن الحارث، والشيماء بنت الحارث، وأنيسة بنت الحارث، وسماها الحافظ (آسية). و(أُنيسة) أكثر وأشهر[1].

وكان ﷺ يوصي بأقاربه وأهل بيته خيراً:

فعن زيد بن أرقم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قامَ رسولُ الله ﷺ يوماً فينا خطيباً، بماءٍ يدعى خمّاً بينَ مكّةَ والمدينةِ. فحمدَ اللهَ، وأثنى عليهِ، ووعظَ، وذكّرَ، ثمَّ قالَ: «**أيّها النّاسُ إنّما أنا بشرٌ، يوشكُ أنْ يأتيَ رسولُ ربّي فأجيبَ، وأنا تاركٌ فيكمْ ثقلينِ:**

أوّلهما كتابُ الله، فيهِ الهدى والنّورُ، منِ استمسكَ بهِ وأخذَ بهِ كانَ على الهدى، ومنْ أخطأهُ ضلَّ.

---

(١) انظر: سيرة ابن اسحاق [٤٨]، البداية والنهاية [٣/ ٤٠٨]، سير أعلام النبلاء [١/ ١٦٢]، زاد المعاد [١/ ٨١]، الإصابة [٨/ ٣].

وأهـلُ بيتـي، أذكّركمُ الله في أهـلِ بيتي، أذكّركـمُ الله في أهلِ بيتي، أذكّركـمُ الله في أهلِ بيتي».

قال حصينُ بنُ سـبرةَ: ومنْ أهلُ بيتهِ يا زيدُ؟ أليسَ نساؤهُ منْ أهلِ بيتهِ؟ قالَ: نساؤهُ منْ أهلِ بيتهِ، ولكنْ أهلُ بيتهِ منْ حرمَ الصّدقةَ بعدهُ. قالَ ومنْ همْ؟ قالَ: همْ آلُ عليٍّ وآلُ عقيلٍ وآلُ جعفرٍ وآلُ عبّاسٍ[١].

وكان أبو بكر الصديق يقول: «ارقبوا محمّداً ﷺ في أهلِ بيتهِ»[٢].

والمراقبةُ للشّيءِ المحافظة عليهِ، يقول: احفظوهُ فيهمْ، فلا تؤذوهمْ، ولا تسيئوا إليهمْ[٣].

وعنْ عائشةَ رضي الله عنها أنَّ أبا بكرٍ قالَ لعلي: «والّذي نفسي بيدهِ لقرابةُ رسولِ الله ﷺ أحبُّ إليَّ أنْ أصلَ منْ قرابتي»[٤].

وزار رسول الله ﷺ قبر أمه، وبكى عنده.

فعـنْ أبي هريـرةَ رضي الله عنه قـالَ: زارَ النّبـيُّ ﷺ قـبرَ أمّـهِ، فبكى وأبكـى منْ حولـهُ، فقالَ: «**اسـتأذنتُ ربّي في أنْ أسـتغفرَ لها فلمْ يؤذنْ لي، واسـتأذنتهُ في أنْ أزورَ قبرها فأذنَ لي، فزوروا القبورَ؛ فإنّها تذكّرُ الموتَ**»[٥].

وكان بكاؤهُ ﷺ على ما فاتها منْ إدراك أيّامه، والإيمان بهِ.

وعـن بريدة رضي الله عنه قال: انتهى النبيُّ ﷺ إلى رسـمِ قبرٍ، فجلـسَ، وجلس الناسُ حوله، فجعلَ يحرّكُ رأسهُ كالمخاطبِ، ثم بكى.

فاستقبلهُ عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه فقال: ما يبكيكَ يا رسولَ الله؟

---

(١) رواه مسلم [٢٤٠٨].

(٢) رواه البخاري [٣٧١٣].

(٣) فتح الباري [٧/ ٧٩].

(٤) رواه البخاري [٣٧١٢].

(٥) رواه مسلم [٩٧٦].

فقال: «**هذا قبرُ آمنةَ بنتِ وهبٍ، استأذنتُ ربّي في أنْ أزورَ قبرها، فأذنَ لي، واستأذنتهُ في الاستغفارِ لها فأبى، وأدركتني رقّتها، فبكيتُ**».

قال: فما رأيتُ ساعةً أكثر باكياً من تلك الساعة[١].

وكان ﷺ حريصاً على دعوة أقاربه إلى الإسلام:

عنْ أبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قامَ رسولُ الله ﷺ حينَ أنزلَ الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، فقالَ: «**يا معشرَ قريشٍ، اشتروا أنفسكمْ، لا أغني عنكمْ منَ الله شيئاً، يا بني عبدِ منافٍ، لا أغني عنكمْ منَ الله شيئاً.**

يا عبّاسُ بنَ عبدِ المطّلبِ، لا أغني عنكَ منَ الله شيئاً، ويا صفيّةُ عمّةَ رسولِ الله، لا أغني عنكِ منَ الله شيئاً، ويا فاطمةُ بنتَ محمّدٍ، سليني ما شئتِ منْ مالي، لا أغني عنكِ منَ الله شيئاً»[٢].

معناهُ: لا تتّكلوا على قرابتي فإنّي لا أقدر على دفع مكروه يريدهُ الله بكمْ.

وفي روايةٍ عند مسلم (٢٠٤) زيادة: «**غير أنَّ لكمْ رحماً سأبلّها ببلالها**» أي سأصلها بالمعروفِ اللّائق بها.

والسّرُّ في الأمر بإنذارِ الأقربينَ أوّلاً أنَّ الحجّة إذا قامتْ عليهمْ تعدّتْ إلى غيرهمْ[٣].

ومن دعوته ﷺ لأقاربه:

دعوته لعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو صغيرٌ؛ فاستجاب وآمن، فكان أولَ صبيٍّ يدخلُ في الإسلام.

قال الترمذي: قالَ بعضُ أهلِ العلمِ: أوّلُ منْ أسلمَ منَ الرّجالِ أبو بكرٍ، وأسلمَ عليٌّ وهوَ غلامٌ ابنُ ثمانِ سنينَ، وأوّلُ منْ أسلمَ منَ النّساءِ خديجةُ[٤].

---

(١) رواه البيهقي في دلائل النبوة [١/ ١٨٩]، وصححه الألباني في صحيح السيرة [ص٢٣].

(٢) رواه البخاري [٢٧٥٣]، ومسلم [٢٠٦].

(٣) فتح الباري [٨/ ٥٠٣].

(٤) سنن الترمذي [٥/ ٦٤٢].

ومن ذلك أيضاً: حرصه على هداية عمّه أبي طالب، وإلحاحه عليه ليؤمن.

فعن سعيد بن المسيّبِ عنْ أبيهِ قالَ: لمّا حضرتْ أبا طالبٍ الوفاةُ جاءهُ رسولُ الله ﷺ، فوجدَ عندهُ أبا جهلٍ وعبدَ الله بنَ أبي أميّةَ بنِ المغيرةِ.

فقالَ: «**أيْ عمِّ، قلْ: لا إلهَ إلّا اللهُ، كلمةً أحاجُّ لكَ بها عندَ الله**» وفي رواية: «**أشهد لك بها عند الله**».

فقالَ أبو جهلٍ وعبدُ الله بنُ أبي أميّةَ: أترغبُ عنْ ملّةِ عبدِ المطّلبِ.

فلمْ يزلْ رسولُ الله ﷺ يعرضها عليهِ، ويعيدانهِ بتلكَ المقالةِ، حتّى قالَ أبو طالبٍ آخرَ ما كلّمهمْ: هو على ملّةِ عبدِ المطّلبِ، وأبى أنْ يقولَ: لا إلهَ إلّا اللهُ.

فقالَ رسولُ الله ﷺ: «**والله لأستغفرنَّ لكَ ما لمْ أنهَ عنكَ**».

فأنزلَ اللهُ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ﴾[التوبة: ١١٣]، وأنزلَ الله في أبي طالبٍ، فقالَ لرسولِ الله ﷺ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾ [القصص: ٥٦][1].

وفي روايةٍ صحيحةٍ عند أحمد (٩٣٢٧)، فقالَ أبو طالب: «لولا أنْ تعيّرني قريش يقولونَ ما حملهُ عليهِ إلّا جزع الموت؛ لأقررت بها عينك».

ومع أن عمه مات على الكفر، إلا أنه ﷺ شفع له حتى خفّفَ عنه العذاب.

فأبو طالب هو أخفُّ أهل النارِ عذاباً يومَ القيامة؛ بسبب شفاعةِ النبيِّ ﷺ له في ذلك.

عنِ ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**أهونُ أهلِ النّارِ عذاباً أبو طالبٍ، وهوَ منتعلٌ بنعلينِ يغلي منهما دماغهُ**»[2].

وعنِ العبّاسِ بنِ عبدِ المطّلبِ رضي الله عنه أنّهُ قالَ: يا رسولَ الله، هلْ نفعتَ أبا طالبٍ بشيءٍ؛ فإنّهُ كانَ يحوطكَ ويغضبُ لكَ؟

---

(١) رواه البخاري [٣٨٨٤] ومسلم [٢٤].

(٢) رواه مسلم [٢١١].

قالَ: «**نعمْ، هوَ في ضحضاحٍ منْ نارٍ**[١]، **ولولا أنا؛ لكانَ في الدّركِ الأسفلِ منَ النّارِ**»[٢].

وكان النبي ﷺ يثني على قرابته، ويعرف لهم حقهم وقدرهم:

فعنْ المطّلبِ بنِ أبي وداعةَ قالَ: جاءَ العبّاسُ إلى رسولِ الله ﷺ، فكأنّهُ سمعَ شيئاً؛ فقامَ النّبيُّ ﷺ على المنبرِ، فقالَ: «**منْ أنا؟**».

فقالوا: أنتَ رسولُ الله عليكَ السّلامُ.

قالَ: «**أنا محمّدُ بنُ عبدِ الله بنِ عبدِ المطّلبِ، إنَّ الله خلقَ الخلقَ، فجعلني في خيرهمْ فرقةً، ثمَّ جعلهمْ فرقتينِ، فجعلني في خيرهمْ فرقةً، ثمَّ جعلهمْ قبائلَ، فجعلني في خيرهمْ قبيلةً، ثمَّ جعلهمْ بيوتاً، فجعلني في خيرهمْ بيتاً، وخيرهمْ نسباً**»[٣].

«**وكأنّهُ سمعَ شيئاً**» أيْ: منَ الطّعنِ في نسبِهِ، أوْ حسبِهِ.

والمعنى: جاءَ العبّاسُ غضبانَ بسببِ ما سمعَ، طعناً منَ الكفّارِ في رسولِ الله ﷺ.

وهذا من تمام الثناء على قرابته ﷺ.

وعنْ سعدِ بنِ أبي وقّاصٍ قالَ قالَ رسولُ الله ﷺ للعبّاسِ: «**هذا العبّاسُ بنُ عبدِ المطّلبِ أجودُ قريشٍ كفّاً وأوصلها**»[٤].

وكان يأخذُ بنصيحة عمه العباس ومشورته:

عنِ ابنِ عبّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنَّ رسولَ الله ﷺ عامَ الفتحِ جاءهُ العبّاسُ بنُ عبدِ المطّلبِ بأبي سفيانَ بنِ حربٍ، فأسلمَ بمرِّ الظّهرانِ[٥].

فقالَ لهُ العبّاسُ: يا رسولَ الله، إنَّ أبا سفيانَ رجلٌ يحبُّ هذا الفخرِ، فلوْ جعلتَ لهُ شيئاً.

---

(١) الضحضاح: ما يبلغ الكعبين من الماء. النهاية [٣/ ١٦٤].

(٢) رواه مسلم [٢٠٩].

(٣) رواه الترمذي [٣٤٥٥]، وصححه الألباني في صحيح الجامع [١٤٧٢].

(٤) رواه أحمد [١٦١٣] وصححه الألباني في الصحيحة [٣٣٢٦].

(٥) موضع بقربِ مكّة.

قالَ: «نعمْ منْ دخلَ دارَ أبي سفيانَ؛ فهوَ آمنٌ، ومنْ أغلقَ عليهِ بابهُ؛ فهوَ آمنٌ»[١].

وكان ﷺ يصحّحُ لهم عبادتهم:

عنِ ابنِ عبّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قالَ: بتُّ عندَ ميمونةَ، فقامَ النّبيُّ ﷺ، فأتى حاجتهُ، فغسلَ وجههُ ويديهِ، ثمَّ نامَ ثمَّ قامَ، فأتى القربةَ، فأطلقَ شناقها، ثمَّ توضّأَ وضوءاً بينَ وضوءينِ لمْ يكثرْ، وقدْ أبلغَ، فصلّى.

فقمتُ، فتمطّيتُ كراهيةَ أنْ يرى أنّي كنتُ أرقبه، فتوضّأتُ، فقامَ يصلّي، فقمتُ عنْ يسارهِ، فأخذَ بأذني، فأدارني عنْ يمينهِ...الحديث[٢].

وكان إذا وقع أحدهم في منكرٍ؛ أنكر عليه، وصرفه عنه.

عنْ عبدِ اللهِ بنِ عبّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قالَ: كانَ الفضلُ رديفَ رسولِ اللهِ ﷺ، فجاءتْ امرأةٌ منْ خثعمَ، فجعلَ الفضلُ ينظرُ إليها، وتنظرُ إليهِ، وجعلَ النّبيُّ ﷺ يصرفُ وجهَ الفضلِ إلى الشّقِّ الآخرِ.

فقالتْ: يا رسولَ اللهِ، إنَّ فريضةَ اللهِ على عبادهِ في الحجِّ أدركتْ أبي شيخاً كبيراً، لا يثبتُ على الرّاحلةِ أفأحجُّ عنهُ؟

قالَ: «نعمْ». وذلكَ في حجّةِ الوداعِ[٣].

وكان ﷺ يستعينُ بهم في المواقف المهمة:

ففي قصة بيعة العقبةِ التي يرويها كعبُ بنُ مالكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: خرجنا إلى الحجِّ، فواعدنا رسولَ اللهِ ﷺ العقبةَ منْ أوسطِ أيّامِ التّشريقِ.

فاجتمعنا بالشّعبِ ننتظرُ رسولَ اللهِ ﷺ حتّى جاءنا ومعهُ يومئذٍ عمّهُ العبّاسُ بنُ عبدِ المطّلبِ، وهوَ يومئذٍ على دينِ قومهِ، إلّا أنّهُ أحبَّ أنْ يحضرَ أمرَ ابنِ أخيهِ ويتوثّقُ لهُ.

---

(١) رواه أبو داود [٣٠٣١] وحسنه الألباني في صحيح أبي داود [٣٠٢١].

(٢) رواه البخاري [٦٣١٦]، ومسلم [٧٦٣].

(٣) رواه البخاري [١٥١٣]، ومسلم [١٣٣٤]

فلمّا جلسنا كانَ العبّاسُ بنُ عبدِ المطّلبِ أوّلَ متكلّمٍ، فقالَ: يا معشرَ الخزرجِ، إنَّ محمّداً منّا حيثُ قدْ علمتمْ، وقدْ منعناهُ منْ قومنا ممّنْ هوَ على مثلِ رأينا فيهِ، وهوَ في عزٍّ منْ قومهِ ومنعةٍ في بلدهِ، وإنّهُ قدْ أبى إلّا الانحيازَ إليكمْ واللّحوقَ بكمْ. فإنْ كنتمْ ترونَ إنّكمْ وافونَ لهُ بما دعوتموهُ إليهِ، ومانعوهُ ممّنْ خالفهُ، فأنتمْ وما تحمّلتمْ منْ ذلكَ.

وإنْ كنتمْ ترونَ أنّكمْ مسلموهُ وخاذلوهُ بعدَ الخروجِ بهِ إليكمْ، فمنَ الآنَ فدعوهُ، فإنّهُ في عزٍّ ومنعةٍ منْ قومهِ وبلدهِ.

فقلنا: قدْ سمعنا ما قلتَ، فتكلّمْ يا رسولَ الله، فخذْ لنفسكَ، ولربّكَ ما أحببتَ، فتكلّمَ رسولُ الله ﷺ، فتلا، ودعا إلى الله عزَّ وجلَّ، ورغّبَ في الإسلامِ... الخ[1].

وكان ﷺ يحسنُ إلى أقاربه:

وقد تعدّدتْ وجوهُ إحسانه ﷺ إليهم وتنوّعت، فكان يهتمُّ بأمورهم ويسعى في تزويج من لم يتزوج منهم، كما في الحديث عن عبدَ المطّلبِ بنَ ربيعةَ بنِ الحارثِ قالَ: اجتمعَ ربيعةُ بنُ الحارثِ [ابن عم الرسول ﷺ]، والعبّاسُ بنُ عبدِ المطّلبِ فقالا: والله لوْ بعثنا هذينِ الغلامينِ [المطلب بن ربيعة والفضلِ بنِ عبّاسٍ] إلى رسولِ الله ﷺ فكلّماهُ، فأمّرهما على هذهِ الصّدقاتِ، فأدّيا ما يؤدّي النّاسُ، وأصابا ممّا يصيبُ النّاسُ.

فبينما هما في ذلكَ جاءَ عليُّ بنُ أبي طالبٍ، فوقفَ عليهما، فذكرا لهُ ذلكَ.

فقالَ عليُّ بنُ أبي طالبٍ: لا تفعلا، فوَ الله ما هوَ بفاعلٍ.

فانتحاهُ ربيعةُ بنُ الحارثِ فقالَ: والله ما تصنعُ هذا إلّا نفاسةً[2] منكَ علينا، فوالله لقدْ نلتَ صهرَ رسولِ الله ﷺ، فما نفسناهُ عليكَ.

قالَ عليٌّ: أرسلوهما. فانطلقا.

---

(١) رواه أحمد [١٥٣٧١] وصححه الألباني في فقه السيرة [١/ ١٤٦].

(٢) أي: حسداً.

فألقى عليٌّ رداءهُ ثمَّ اضطجعَ عليهِ، وقالَ: أنا أبو حسنٍ القرمُ[١]، والله لا أريمُ مكاني[٢] حتّى يرجعَ إليكما ابناكما بحورِ ما بعثتما بهِ إلى رسولِ الله ﷺ[٣].

قالَ: فلمّا صلّى رسولُ الله ﷺ الظّهرَ سبقناهُ إلى الحجرةِ فقمنا عندها، حتّى جاءَ فأخذَ بآذاننا، ثمَّ قالَ: «**أخرجا ما تصرّرانِ**»[٤].

ثمَّ دخلَ ودخلنا عليهِ وهوَ يومئذٍ عندَ زينبَ بنتِ جحشٍ.

فتواكلنا الكلامَ، ثمَّ تكلّمَ أحدنا، فقالَ: يا رسولَ الله أنتَ أبرُّ النّاسِ، وأوصلُ النّاسِ، وقدْ بلغنا النّكاحَ، فجئنا؛ لتؤمّرنا على بعضِ هذهِ الصّدقاتِ، فنؤدّيَ إليكَ كما يؤدّي النّاسُ، ونصيبَ كما يصيبونَ.

فسكتَ طويلاً حتّى أردنا أنْ نكلّمهُ، وجعلتْ زينبُ تلمعُ علينا منْ وراءِ الحجابِ أنْ لا تكلّماهُ[٥].

ثمَّ قالَ: «**إنَّ الصّدقةَ لا تنبغي لآلِ محمّدٍ**[٦]، **إنّما هيَ أوساخُ النّاسِ**[٧]، **وإنّها لا تحلُّ لمحمّدٍ ولا لآلِ محمّدٍ. ادعوا لي محميةَ بنَ جزءٍ**»، وهوَ رجلٌ منْ بني أسدٍ كانَ رسولُ الله ﷺ استعملهُ على الأخماسِ، **ونوفلَ بنَ الحارثِ بنِ عبدِ المطّلبِ**.

قالَ: فجاءاهُ، فقالَ لمحميةَ: «**أنكحْ هذا الغلامَ ابنتكَ**» للفضلِ بنِ عبّاسٍ فأنكحهُ.

وقالَ لنوفلِ بنِ الحارثِ: «**أنكحْ هذا الغلامَ ابنتكَ**» لي، فأنكحني.

---

(١) القرم: هوَ السّيّد، وأصله فحل الإبل. قالَ الخطّابيُّ: معناهُ المقدّم في المعرفة بالأمورِ والرّأي كالفحلِ

(٢) أيْ: لا أفارقه.

(٣) بحورِ أيْ: بجوابِ ذلكَ. يقال: كلّمته فما ردَّ عليَّ حوراً أيْ جواباً، ويجوز أنْ يكون معناهُ الخيبة، أيْ: يرجعا بالخيبةِ، قالَ القاضي: هذا أشبهُ بسياقِ الحديث.

(٤) معناهُ: تجمعانهِ في صدوركما منَ الكلام.

(٥) يقال: ألمعَ ولمعَ إذا أشارَ بثوبهِ أوْ بيدهِ.

(٦) فالصّدقة محرّمة عليهم سواء كانتْ بسببِ العمل أوْ بسببِ الفقر والمسكنة وغيرهما منْ الأسباب الثّمانية.

(٧) أي: أنّها تطهير لأموالهمْ ونفوسهمْ، فهيَ كغسّالةِ الأوساخ.

وقالَ لمحميةَ: «**أصدقْ عنهما منَ الخمسِ كذا وكذا**»[١].

وقولـه: «**أصـدقْ عنهما منَ الخمسِ**» يحتمل أنْ يريد منْ سـهم ذوي القربى منْ الخمس؛ لأنّهما منْ ذوي القربى، ويحتمل أنْ يريد منْ سهم النّبيّ ﷺ منْ الخمس[٢].

ومن إحسـانه لأقاربه ﷺ أن عمّه العباس لمّا جيء به أسـيراً في بدر، ولم يكن عليه ثوب، طلب له ثوباً حتى يلبسه.

عـن جابـر بن عبـدِ الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قالَ: لمّا كانَ يـومَ بدرٍ أتيَ بأسـارى وأتيَ بالعبّاسِ ولمْ يكنْ عليـهِ ثوبٌ، فنظرَ النّبيُّ ﷺ لهُ قميصاً فوجدوا قميصَ عبدِ الله بنِ أبيٍّ يقدرُ عليهِ[٣]، فكسـاهُ النّبيُّ ﷺ إيّاهُ، فلذلكَ نزعَ النّبيُّ ﷺ قميصهُ الّذي ألبسهُ[٤].

قالَ ابنُ عيينةَ: كانتْ لهُ عندَ النّبيِّ ﷺ يدٌ؛ فأحبَّ أنْ يكافئهُ[٥].

ولما جاءه مالٌ من البحرين لم ينس عمه العباس.

عنْ أنسِ بنِ مالكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: أتيَ النّبيُّ ﷺ بمالٍ منَ البحرينِ[٦].

فقالَ: «**انثروهُ في المسجدِ**»، وكانَ أكثرَ مالٍ أتيَ بهِ رسولُ الله ﷺ.

فخرجَ رسولُ الله ﷺ إلى الصّلاةِ، ولمْ يلتفتْ إليهِ.

فلمّا قضى الصّلاةَ، جاءَ فجلسَ إليهِ، فما كانَ يرى أحداً إلّا أعطاهُ.

إذْ جاءهُ العبّاسُ فقالَ: يا رسـولَ الله أعطني؛ فـإنّي فاديتُ نفسي وفاديتُ عقيلاً. [وكانَ أسرَ معَ عمّه العبّاس في غزوة بدر].

---

(١) رواه مسلم [١٠٧٢].

(٢) ينظر: شرح النووي على صحيح مسلم [٧/ ١٨٠].

(٣) وإنما كان ذلك لأن العباس كان بينّ الطول، وكذلك كان عبد الله بن أبّي.

(٤) أي لعبد الله بن أبّي عند دفنه.

(٥) رواه البخاري [٣٠٠٨]

(٦) وهذا المالُ أرسلَ بهِ العلاء بن الحضرميّ جزية أهل البحرين، وهم مجوسُ هجر، وكان قد قدم به أبو عبيدة بن الجراح.

فقالَ لهُ رسولُ الله ﷺ: «**خذْ**».

فحثا في ثوبه، ثمَّ ذهبَ يقلّهُ [١]، فلمْ يستطعْ.

فقالَ: يا رسولَ الله اؤمرْ بعضهمْ يرفعهُ إليَّ.

قالَ: «**لا**».

قالَ: فارفعهُ أنتَ عليَّ.

قالَ: «**لا**».

فنثرَ منهُ، ثمَّ ذهبَ يقلّهُ، فقالَ يا رسولَ الله: اؤمرْ بعضهمْ يرفعهُ عليَّ.

قالَ: «**لا**».

قالَ: فارفعهُ أنتَ عليَّ.

قالَ: «**لا**».

فنثرَ منه، ثمَّ احتملهُ فألقاهُ على كاهلِهِ، ثمَّ انطلقَ.

فما قامَ رسولُ الله ﷺ، وثمَّ منها درهمٌ [٢].

في هذا الحديثِ: بيان كرم النّبيّ ﷺ، وعدم التفاته إلى المال قلَّ أوْ كثرَ.

وقد كان العباسُ رضي الله عنه عظيماً جسيماً شديدَ القوة، فالظاهرُ أنه حمل مالا كثيراً، ولم يمنعهُ النبي ﷺ [٣].

ولعلَّ النبي ﷺ لم يعنهُ على الحملِ، أو يأمرْ أحداً بإعانته؛ حتى يقلّلَ مما أخذ من المال، ولا يحملَ إلا ما يقدرُ على حمله، ولم يرد أن يمنعه من أخذ ما أرادَ.

والعباس كان من أغنى قريشٍ، وأكثرهم مالا، ولكنه غرم بسبب مفاداة نفسه، ومفاداة عقيل من الأسرِ.

---

(١) منَ الإقلال وهوَ الرّفع والحمل.

(٢) رواه البخاري [٣١٦٥] تعليقاً، ووصله أبو نعيم في المستخرج، كما في فتح الباري [١/ ٥١٦].

(٣) فتح الباري [٣/ ١٧٨] لابن رجب.

ومن مساعدته ﷺ لأقاربه: حرصه على أدائهم للنسك معه، وإقناعه لمن لم يكن ينوي منهم الخروج بالمبادرة إلى ذلك.

كما في قصة ضباعة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا حين دخل عليها النبي ﷺ فقال لها: «**أردتِ الحجَّ؟**».

قالت: والله ما أجدني إلّا وجعةً.

فقال لها: «**حجّي واشترطي، وقولي: اللهمَّ محلّي حيثُ حبستني**»[(١)].

وكان يتابع أمورَ أقاربه، ويعتني بصحتهم:

عن جابرِ بنِ عبدِ الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: رخّصَ النّبيُّ ﷺ لآلِ حزمٍ في رقيةِ الحيّةِ.

وقالَ لأسماءَ بنتِ عميسٍ: «**ما لي أرى أجسامَ بني أخي ضارعةً؟**[(٢)] **تصيبهمُ الحاجةُ؟**».

قالتْ: لا، ولكنْ العينُ تسرعُ إليهمْ.

قالَ: «**ارقيهمْ**».

قالتْ: فعرضتُ عليهِ.

فقالَ: «**ارقيهمْ**»[(٣)].

وعنْ أمِّ المنذرِ بنتِ قيسٍ الأنصاريّةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالتْ: دخلَ عليَّ رسولُ الله ﷺ، ومعهُ عليٌّ وعليٌّ ناقهٌ[(٤)]، ولنا دوالي[(٥)] معلّقةٌ.

فقامَ رسولُ الله ﷺ يأكلُ منها، وقامَ عليٌّ؛ ليأكلَ، فطفقَ رسولُ الله ﷺ يقولُ لعليٍّ: «**مهْ؛ إنّكَ ناقهٌ**». حتّى كفَّ عليٌّ.

---

(١) رواه البخاري [٥٠٨٩]، ومسلم [١٢٠٧] واللفظ له.

(٢) أي نحيفة.

(٣) رواه مسلم [٢١٩٨].

(٤) نقه المريض ينقه فهو ناقهٌ إذا برأ وأفاق، وكان قريب العهد بالمرض، لم يرجع إليه كمالُ صحّته وقوّته. النهاية [٥/ ٢٣٢].

(٥) جمعُ دالية وهي العذقُ من البسر يعلّقُ فإذا أرطبَ أكلَ. النهاية [٢/ ٣٤٩].

قالتْ: وصنعتُ شعيراً وسلقاً، فجئتُ بهِ، فقالَ رسولُ الله ﷺ: «**يا عليُّ أصبْ منْ هذا؛ فهوَ أنفعُ لكَ**»(١).

واستعان النبي ﷺ بأقاربه رضي الله عنهم، واستنابهم واستعملهم في كثير من شؤونه.

ومن ذلك:

- أمره عليّاً رضي الله عنه لينامَ في فراشه ليلةَ الهجرة.
- تأميره عليّاً رضي الله عنه يوم خيبر على الجيشِ.
- إعطاؤه ﷺ عليّاً ما بقي من بُدنه في الحج لينحرها، وأمره ﷺ له بأن يقومَ على بُدنه، وبأن يتصدّقَ على الناس بلحومها وجلودها وأجلّتها(٢).

فعن علي رضي الله عنه قالَ: «أهدى النّبيُّ ﷺ مائةَ بدنةٍ، فأمرني بلحومها فقسمتها، ثمَّ أمرني بجلالها فقسمتها، ثمَّ بجلودها فقسمتها»(٣).

وجعل ابنَ عمه جعفراً على رأس المهاجرين إلى الحبشة، وأوّلَ من حمل رسالة إلى ملك الحبشة.

وهو الذي تكلم أمام النجاشي شارحاً له دين الإسلام بأوجز عبارة.

ولما قدم جعفر من الحبشة فرح ﷺ بقدومه وسرَّ بذلك:

وكان قد قدم على رسول الله ﷺ بعدَ فتح خيبر، فقام إليه والتزمه ﷺ، وقبّلَ ما بين عينيهِ واعتنقه، وقال: «**ما أدري بأيّهما أنا أسرُّ: بقدومِ جعفر أوْ بفتحِ خيبر**»(٤).

وأنزله رسول الله ﷺ إلى جنب المسجدِ، وأسهم له من غنائم خيبر.

وجعله أميراً على الجيش في معركة مؤتةَ بعد زيد بن حارثة.

---

(١) رواه أبو داود [٣٨٥٦]، والترمذي [١٩٦٠]، وابن ماجة [٣٤٤٢]، وحسنه الألباني في الصحيحة [٥٩].

(٢) أي: ما يطرح على ظهر البعير من كساء ونحوه. ينظر: صحيح البخاري [١٧٠٧]، صحيح مسلم [١٣١٧].

(٣) رواه البخاري [١٧١٨]، ومسلم [٢٣٢١].

(٤) رواه الحاكم [٤٢٤٩]، وحسنه الألباني في فقه السيرة [١/ ٣٤٧].

ولما استشهد بمؤتة واسى أهله في مصيبتهم وتكفل بشؤونهم:

فعنْ عبدِ الله بنِ جعفرٍ قالَ: بعثَ رسولُ الله ﷺ جيشاً استعملَ عليهمْ زيدَ بنَ حارثةَ، وقالَ: «**فإنْ قتلَ زيدٌ، أوِ استشهدَ فأميركمْ جعفرٌ، فإنْ قتلَ أوِ استشهدَ فأميركمْ عبدُ الله بنُ رواحةَ**».

فأتى خبرهمْ النّبيَّ ﷺ، فخرجَ إلى النّاسِ، فحمدَ الله وأثنى عليهِ، وقالَ: «**إنَّ إخوانكمْ لقوا العدوَّ، وإنَّ زيداً أخذَ الرّايةَ، فقاتلَ حتّى قتلَ أوِ استشهدَ، ثمَّ أخذَ الرّايةَ بعدهُ جعفرُ بنُ أبي طالبٍ، فقاتلَ حتّى قتلَ أوِ استشهدَ، ثمَّ أخذَ الرّايةَ عبدُ الله بنُ رواحةَ، فقاتلَ حتّى قتلَ أوِ استشهدَ، ثمَّ أخذَ الرّايةَ سيفٌ منْ سيوفِ الله خالدُ بنُ الوليدِ ففتحَ الله عليهِ**».

فأمهلَ ثمَّ أمهلَ آلَ جعفرٍ ثلاثاً أنْ يأتيهمْ ثمَّ أتاهمْ[١]. فقالَ: «**لا تبكوا على أخي بعدَ اليومِ أوْ غدٍ، ادعوا لي بني أخي**»[٢].

قالَ: فجيءَ بنا كأنّا أفرخٌ[٣].

فقالَ: «**ادعوا إليَّ الحلّاقَ**».

فجيءَ بالحلّاقِ، فحلقَ رءوسنا[٤].

ثمَّ قالَ: «**أمّا محمّدٌ فشبيهُ عمّنا أبي طالبٍ، وأمّا عبدُ الله فشبيهُ خلقي وخلقي**».

ثمَّ أخذَ بيدي، فأشالها، فقالَ: «**اللهمَّ اخلفْ جعفراً في أهلهِ، وباركْ لعبدِ الله في صفقةِ يمينهِ**»، قالها ثلاثَ مرارٍ.

فجاءتْ أمّنا فذكرتْ لهُ يتمنا، وجعلتْ تفرحُ لهُ[٥].

---

(١) أيْ: تركَ أهله بعد وفاته يبكونَ ويحزنونَ عليهِ ثلاثاً.

(٢) وهمْ عبد الله، وعون، ومحمّد، أولاد جعفر.

(٣) الفرخَ صغير ولد الطّير، ووجه التّشبيه أنَّ شعرهمْ يشبه زغب الطّير وهوَ أوّل ما يطلع منْ ريشه.

(٤) وإنّما حلقَ رءوسهمْ لما رأى منِ اشتغال أمّهمْ أسماء بنت عميس عنْ ترجيل شعورهمْ بما أصابها منْ قتل زوجها في سبيل الله، فأشفقَ عليهمْ منَ الوسخ والقمل.

(٥) أفرحه إذا غمّه وأزال عنه الفرح.

فقالَ: «**العيلةَ تخافينَ عليهمْ، وأنا وليّهمْ في الدّنيا والآخرةِ؟**»(١).

وكان يحمل الصغار ويمسحُ على رؤوسهم ويدعو لهم:

عن عبد الله بن جعفرٍ أنه قالَ: لوْ رأيتني وقثمَ وعبيدَ الله ابنيْ عبّاسٍ، ونحنُ صبيانٌ نلعبُ، إذْ مرَّ النّبيُّ ﷺ على دابّةٍ، فقالَ: «**ارفعوا هذا إليَّ**»، فحملني أمامهُ، وقالَ لقثمَ: «**ارفعوا هذا إليَّ**»، فجعلهُ وراءهُ.

قالَ: ثمَّ مسحَ على رأسي ثلاثاً، وقالَ كلّما مسحَ: «**اللهمَّ اخلفْ جعفراً في ولدِهِ**»(٢).

ومن عنايته ﷺ بأقاربه وانشغاله بأحوالهم:

حزنه إذا أصيب أحدٌ منهم بمكروهٍ، فلما توفّي عمّه حمزة ومثّلَ به؛ حزن حزناً شديداً؛ لفراقه، ولما أصابه.

عنْ أبي هريرةَ رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ وقفَ على حمزةَ حينَ استشهدَ، وقدْ مثّلَ بهِ، فنظرَ إلى أمرٍ لمْ ينظرْ إلى أمرٍ أوجعَ لقلبهِ منهُ فقالَ: «**رحمكَ اللهُ، إنْ كنتَ لوصولاً للرّحمِ، فعولاً للخيراتِ، ولولا حزنُ منْ بعدكَ عليكَ؛ لسرّني أنْ أدعكَ حتّى تحشرَ منْ أفواهٍ شتّى، وايمُ الله لأمثّلنَّ بسبعينَ منهمْ مكانكَ**».

فنزلَ جبريلُ والنّبيُّ ﷺ واقفٌ بعدُ بخواتيمِ سورةِ النّحلِ: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ﴾ [النحل: ١٢٦].

فكفّرَ رسولُ الله ﷺ، وأمسكَ عمّا أرادَ(٣).

وكان ﷺ كثيراً ما يدعو لأقاربه، فمن ذلك:

دعاؤه للعباس ولأولاده: فعنِ ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ للعبّاسِ: «**إذا كانَ غداةَ الاثنينِ؛ فأتني أنتَ، وولدكَ؛ حتّى أدعوَ لكَ بدعوةٍ ينفعكَ الله بها وولدكَ**».

---

(١) رواه أحمد [١٧٥٣]، وصححه الألباني في أحكام الجنائز [ص١٦٦].

(٢) رواه أحمد [١٧٦٣]. وحسنه الألباني في أحكام الجنائز [ص١٦٨].

(٣) رواه الحاكم [٤٨٩٤]، والطبراني في المعجم الكبير [٣/ ١٤٣] بسند فيه ضعف كما ذكر الحافظ في الفتح [٧/ ٣٧١].

فغدا وغدونا معهُ، وألبسنا كساءً ثمَّ قالَ: «**اللهمَّ اغفرْ للعبّاسِ، وولدِهِ مغفرةً ظاهرةً وباطنةً لا تغادرُ ذنباً، اللهمَّ احفظهُ في ولدِهِ**»(١).

«**مغفرةً ظاهرةً وباطنةً**» أيْ: ما ظهرَ منْ الذّنوبِ، وما بطنَ منها.

«**لا تغادرُ**» أيْ: لا تتركُ تلكَ المغفرةُ ذنباً غيرَ مغفورٍ.

«**اللهمَّ احفظهُ في ولده**» أيْ: أكرمهُ وراعِ أمرهُ كيْ لا يضيعَ في شأنِ ولده(٢).

دعاؤه لعلي بن أبي طالب: فعنْ عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: لمّا توفّيَ أبو طالبٍ أتيتُ النّبيَّ ﷺ، فقلتُ: إنَّ عمّكَ الشّيخَ قدْ ماتَ.

قالَ: «**اذهبْ، فوارِهِ، ثمَّ لا تحدثْ شيئاً حتّى تأتيني**».

قالَ: فواريتهُ، ثمَّ أتيتهُ.

قالَ: «**اذهبْ، فاغتسلْ، ثمَّ لا تحدثْ شيئاً حتّى تأتيني**».

قالَ: فاغتسلتُ، ثمَّ أتيتهُ.

قالَ: فدعا لي بدعواتٍ ما يسرّني أنَّ لي بها حمرَ النّعمِ وسودها(٣).

دعاؤه لابن عباس: عنِ ابنِ عبّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قالَ: ضمّني النّبيُّ ﷺ إلى صدرِهِ، وقال: «**اللهمَّ علّمهُ الحكمةَ**»(٤).

وفي رواية عنه: أنَّ النّبيَّ ﷺ دخلَ الخلاءَ، فوضعتُ لهُ وضوءاً.

قالَ: «**منْ وضعَ هذا؟**». فأخبرَ.

فقالَ: «**اللهمَّ فقّههُ في الدّينِ**»(٥).

---

(١) . رواه الترمذي [٢٧٦٢]، وحسنه الألباني.

(٢) تحفة الأحوذي [١٠/ ١٧٨].

(٣) رواه أحمد [٨٠٩] وصححه الألباني في أحكام الجنائز [ص١٣٤].

(٤) رواه البخاري [٣٧٥٦].

(٥) رواه البخاري [١٤٣]، ومسلم [٢٤٧٧].

ورواه أحمد (٣٠٢٤) وزاد: «**وعلّمه التأويل**».

وكان يعلمهم الأدعيةَ النافعة:

عنِ العبّاسِ بنِ عبدِ المطّلبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قلتُ: يا رسولَ الله، علّمني شيئاً أسألهُ الله عَزَّوَجَلَّ.

قالَ: «**سلِ الله العافيةَ**».

فمكثتُ أيّاماً، ثمَّ جئتُ، فقلتُ: يا رسولَ الله، علّمني شيئاً أسألهُ اللهَ.

فقالَ لي: «**يا عبّاسُ، يا عمَّ رسولِ الله، سلِ الله العافيةَ في الدّنيا والآخرةِ**»[١].

فأمرهُ ﷺ للعبّاسِ بالدّعاءِ بالعافيةِ بعدَ تكريرِ العبّاسِ سؤالهُ بأنْ يعلّمهُ شيئاً يسألُ الله بهِ دليلٌ جليٌّ بأنَّ الدّعاءَ بالعافيةِ لا يساويهِ شيءٌ منَ الأدعيةِ، ولا يقومُ مقامهُ شيءٌ منَ الكلامِ الّذي يدعى بهِ ذو الجلالِ والإكرامِ.

وقدْ كانَ رسولُ الله ﷺ ينزلُ عمّهُ العبّاسَ منزلةَ أبيهِ، ويرى لهُ منَ الحقِّ ما يرى الولدُ لوالدِهِ.

ففي تخصيصهِ بهذا الدّعاءِ، وقصرهِ على مجرّدِ الدّعاءِ بالعافيةِ تحريكٌ لهممِ الرّاغبينَ على ملازمتهِ، وأنْ يجعلوهُ منْ أعظمِ ما يتوسّلونَ بهِ إلى ربّهمْ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ويستدفعونَ بهِ في كلِّ ما يهمّهمْ[٢].

وكان يعوده في مرضه:

عنْ أمِّ الفضلِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنَّ النّبيَّ ﷺ دخلَ على العبّاسِ وهوَ يشتكي، فتمنّى الموتَ.

فقالَ: «**يا عبّاسُ يا عمَّ رسولِ الله، لا تتمنَّ الموتَ؛ إنْ كنتَ محسناً تزدادُ إحساناً إلى إحسانكَ خيرٌ لكَ، وإنْ كنتَ مسيئاً فإنْ تؤخّرْ تستعتبْ خيرٌ لكَ، فلا تتمنَّ الموتَ**»[٣].

---

(١) رواه الترمذي [٣٥١٤] وصححه الألباني في صحيح الجامع [٧٩٣٨].

(٢) تحفة الأحوذي [٩/ ٣٤٨].

(٣) رواه أحمد [٢٦٣٣٣]، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب [٣٣٦٨].

وكان يشجّعهم على الخير، ويحثّهم عليه:

كان النبي ﷺ يحثُّ آل بيته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ على فعلِ الطاعاتِ، ويشجّعهم على التزوّد من الخيرات.

ففي حديث حجة النبي ﷺ قال جابر: ثمَّ أفاضَ رسولُ الله ﷺ إلى البيتِ، فصلّى بمكّةَ الظّهرَ، ثمَّ أتى بني عبدِ المطّلبِ وهمْ يسقونَ على زمزمَ، فقالَ: «**انزعوا بني عبدِ المطّلبِ، فلولا أنْ يغلبكمْ النّاسُ على سقايتكمْ؛ لنزعتُ معكمْ**».

فناولوهُ دلواً فشربَ منهُ[١].

«**بني عبد المطّلب**»: المقصود أولاد العبّاس وجماعته؛ لأنَّ سقاية الحاجّ كانتْ وظيفته.

«**وهمْ يسقونَ**»: أيْ: مرَّ عليهمْ وهمْ ينزعونَ الماء منْ زمزم، ويسقونَ النّاس.

«**فقالَ انزعوا**»: أيِ: الماء والدّلاء.

دعا لهمْ بالقوّةِ على النّزع والاستقاء أيْ: إنَّ هذا العمل عمل صالح مرغوب فيهِ؛ لكثرةِ ثوابه، والظّاهر أنّهُ أمر استحباب لهمْ.

«**فلولا أنْ يغلبكمْ النّاس على سقايتكمْ**» أيْ: لولا مخافة كثرة الازدحام عليكمْ بحيثُ تؤدّي إلى إخراجكمْ عنهُ رغبة في النّزع.

وقالَ النّوويّ: معناهُ لولا خوفي أنْ يعتقد النّاس ذلكَ منْ مناسك الحجّ؛ فيزدحمونَ عليهِ بحيثُ يغلبونكمْ، ويدفعونكمْ عنِ الاستقاء؛ لاستقيت معكمْ؛ لكثرةِ فضيلة هذا الاستقاء[٢].

ومع قرابتهم له لم يكن يحابيهم في أمور الدين:

عن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رجالاً منْ الأنصارِ استأذنوا رسولَ الله ﷺ، فقالوا: ائذنْ لنا؛ فلنتركْ لابنِ أختنا عبّاسٍ فداءهُ[٣].

---

(١) رواه مسلم [١٢١٨].

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم [٨/ ١٩٤].

(٣) لأن العباس كان قد أسر ببدر، وكان المشركون قد أخرجوه معهم.

فقالَ: «**لا تدعونَ منهُ درهماً**»[١].

وقولهم عن العباس: (ابنِ أختنا) لأنّهمْ أخوال أبيهِ عبد المطّلب، فإنَّ أمّ عبد المطّلب منهمْ، فهي سلمى بنت عمرو بن أحيحة وهيَ منْ بني النّجّار.

وإنّما قالوا ابن أختنا؛ لتكونَ المنّة عليهمْ في إطلاقه بخلافِ ما لوْ قالوا عمّك لكانتْ المنّة عليهِ ﷺ، وهذا منْ قوّة الذّكاء، وحسن الأدب في الخطاب[٢].

قال ابن حجر: « وروى ابن عائذ في المغازي أنَّ عمر لمّا وليَ وثاق الأسرى شدَّ وثاق العبّاس، فسمعهُ رسول الله ﷺ يئنُّ فلمْ يأخذهُ النّوم، فبلغَ الأنصار، فأطلقوا العبّاس، فكأنَّ الأنصار لمّا فهموا رضا رسول الله ﷺ بفكِّ وثاقه؛ سألوهُ أنْ يتركوا لهُ الفداء؛ طلباً لتمامِ رضاهُ، فلمْ يجبهمْ إلى ذلكَ»[٣].

وإنّما امتنعَ ﷺ منْ إجابتهمْ؛ لئلّا يكونَ في الدّين نوع محاباة[٤].

ومن ذلك أيضاً: أن أول دمٍ وضعه ﷺ من دماء الجاهلية كان من دماء أقاربه، وأول ربا وضعه كان ربا عمه العباس.

وذلك حين قام ﷺ خطيباً بعرفة فقال: «**ألا كلُّ شيءٍ منْ أمرِ الجاهليّةِ تحتَ قدميَّ موضوعٌ**[٥]، **ودماءُ الجاهليّةِ موضوعةٌ**[٦]. **وإنَّ أوّلَ دمٍ أضعُ منْ دمائنا: دمُ ابنِ ربيعةَ بنِ الحارثِ كانَ مسترضعاً في بني سعدٍ فقتلتهُ هذيلٌ.**

وربا الجاهليّةِ موضوعٌ، وأوّلُ رباً أضعُ: ربانا ربا عبّاسِ بنِ عبدِ المطّلبِ فإنّهُ موضوعٌ كلّهُ»[٧].

---

(١) رواه البخاري [٢٥٣٧].

(٢) فتح الباري [٥/ ١٦٨].

(٣) فتح الباري [٧/ ٣٢٢]

(٤) فتح الباري [٥/ ١٦٨].

(٥) المرادُ بالوضعِ: الرّدُّ والإبطالُ.

(٦) أيْ: لا قصاصَ فيها ولا ديةَ ولا كفّارةَ.

(٧) رواه مسلم [١٢١٨].

واسـمُ هـذا الابنِ إياسُ بـنُ ربيعةَ بنِ الحارثِ بنِ عبـدِ المطّلبِ، كانَ هـذا الابنُ المقتولُ طفـلاً صغـيراً يحبو بينَ البيوتِ، فأصابـهُ حجرٌ في حربٍ كانتْ بينَ بني سـعدٍ وبني ليثِ بنِ بكرٍ.

ففـي هـذهِ أنَّ الإمام وغيره ممّنْ يأمـر بمعروفٍ أوْ ينهى عنْ منكر ينبغي أنْ يبدأ بنفسـهِ، وأهله، فهوَ أقرب إلى قبول قوله، وإلى طيب نفس منْ قربَ عهده بالإسلامِ[1].

(١) شرح النووي على صحيح مسلم [٨/ ١٨٢].